النحو التعليمي العربي وآلية التواصل بين القدماء والمتأخرين

ذهبية بورويس . جامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة

❖❖❖❖❖

ملخص

النحو العربي جزء من التراث اللغوي الواسع الذي رسخ بقوة في معارف أمة، أقامت حضارتها على تقاطع العلوم وتواصل العلماء دون إلغاء للفوارق الفردية والجماعية التي استدعتها المراحل والعصور.

لقد سرى هذا العلم حيا في أوصال كل المراحل ولم تتقطع عرى بنيانه، وعلى الرغم من دوافعه التعليمية الأولى، فإنّه أسّس علما، واستمرّ علما وتعليما، ولم يكترث بمن لا يقدر عليه، ولم ينصرف عن طالبيه.

إنه خير معبّر عن هوية الأمة، فيه انعكست تجلياتها ومكتسباتها، والجمع بين مراحل تواصله لاستثماره، يستدعي العزم الصادق للحفاظ عليه والإبداع في طرائقه وآلياته دون حسم أو تجاوز.

Summary

Arabic Grammar is a part of the wide linguistic legacy that was firmly and strongly established in Knowledge of a nation that set up its civilization on sciences as well as the scholars communication without cancelling individual and collective differences required by stages and ages. This science remained alive through all stages… though its first educational motives, it was founded as a science and went on as both a science and education without turning away from its applicants and without paying attention to whom who is unable. Arabic grammar expresses the nation's identity well. It reflects its emergences, and acquisition, gathering between its communication stages to exploit it requires true

intention, to Keep it and create in its ways and means without any ending or overtaking.

❖❖❖❖❖

تمتلك اللّغة العربية آليات التواصل والاستمرار اللّذين يضمنان لها التجدد، والإنتاج وتفعيل كلّ الأبجديات المعرفية الكبرى دون عقدة انتساب، أو تضييق في الاحتواء، وهذا لأنّها اتسعت لكلّ العلوم في أزمنة التّاريخ الحرجة، فأكسبت التراث المعرفي انتعاشًا، وفعالية غيَّرا في المجتمع تغييراً نفعيًا، خَدَم الإنسانية على مدى قرون متواصلة، كما اكتسبت مشروعية بقائها وحيويتها في انفتاحها على كلّ ما يُثريها ويدفعها للعطاء.

النّحو العربي وآلية التواصل :

لقد ظلّت اللّغة العربية مُسْتَأنَسَةً مفهومةً ملازمة لعمق الفكرة وصدق المقصد من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ؛ إنّها قادرة على الاستجابة لمطالب التجديد بما تتصف به من مرونة التعبير، والقدرة على التوليد والاشتقاق، دون أن تَعْتورها من قبل عمليات البتر والاستئصال لوسيلة واحدة من الوسائل العلمية المحافظة لها، ولعلّ أهمها علم النّحو، الذي لم يكن مجرّد قواعد صارمة، وإنّما كان إنشاءً وبناءً معرفيًا واعيًا بطبيعة اللّغة ومؤسسًا لحقائق خصائصها ومبصرًا لجوهر قضاياها.[1]

فالنحو العربي جزءٌ من التراث اللغوي الذّي يعكس حياة الأمّة العربية فهو يختزنُ إمكانات النّهوض بها، والإبداع المحرّك لها، وهو خير معبّر عن هويتها، لقد نُظرَ إليه بحرص وثقة كبيرين ألزما اشتراطه في المدونّة المعرفية التراثية

لتفاعلها معه، إذ انعكست فيه تجلياتها، وإبداعاتها ومكتسباتها، ولعلّ الجمع بين مراحل تواصله لاستثماره، والانتفاع به، يقتضي اليوم العزم الصادق بالتماس جادٍ لتأصيله وترسيخه عن طريق إيجاد الطرائق، والبدائل التيسيرية دون حسمٍ أو تجاوز.

شاع في أذهان المشتغلين بعلوم العربية أنّ النّحو التّعليمي هو الذي استثمر طرائق، ومناهج تعليمية وارتبط فيها بمراحل زمنية متأخرة حددتها كتب التأريخ النّحوي. وممّا لاشك فيه أنّ النّحو العربي وُلِدَ مُدركًا لغاياته وملتزمًا بجادته الّتي أكدّتها المبادرة إلى التأليف فيه للحفاظ على لغة القرآن الكريم، والخشية من فشوّ اللّحن فيها.[2] لقد حرص رواد هذا العلم على وضع مجموعة من القواعد في أغلب التّصوّر بدت مكتملة لأنّها خضعت لبناء منهجي مدروس بعناية ودقة فائقتين، وكان الغرض من هذا العلم الاحتماء به من الوقوع في الخطأ أو الزّلل فيَستعصمُ به المتكلّم، والقارئ، والكاتب فلا يخطئ، ومن يُفكّر ولا يرسل أفكاره مُضطربة مُبْهَمة لا تتضح معها الدلالات. لقد وَعَى العلماء المتقدمون أنّ اللّحن ليس مجرد الخطأ اللّفظي وإنّما مؤداه يَنْعَكس على الفكرة فيُخِلُّ بها فيُذْهِبُ وضوحها وخلاصتها المقصودة.[3]

والنّحو عندهم لم يَظْهَرْ ترفًا أو تبعًا وإنّما كان الفزع إليه لغرض تلقيه وتعلّمه والحفاظ به على الملكة اللّغوية الأصيلة فالقرآن الكريم هو الدّافع الأوّل في إقبال النّحاة على وضع قوانين العربية، ولذلك لم يظهر هذا العلم في كتاب سيبويه (ت 180هـ) بسيطًا متناولاً، وإنّما ظهر مكتملاً لإرادة تعليمه للمسلمين والعرب قاطبة، ولغيرهم كذلك، يقول ابن جنيّ : «هو انتحاء سمت كلام العرب

في تصرفه من إعراب وغيره، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإنْ شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها.»[4]

استنطق كتاب سيبويه العقل الواعي باللّغة **التي أفرزت علم النّحو فاستدعت آلة التّدبر، دون** مراعاة الجانب التلقيني أو التعليمي، ولذلك نجد أنفسنا في هذه الحالة مُلتمسين الفرق بين تعليم **النّحو الّذي كان محكومًا** بأسباب الوضع والغاية، وبين النّحو التعليمي الّذي سلك فيه أصحابه طرائق ومناهج مرحلية غايتها التبسيط والتيسير.[5] **وقد** بَلَغَ من استيعاب هذا الكتاب مسائل النّحو ودقائقه، أنّ المبرّد كان إذا أراد أن يسأل إنسانًا عن قراءته إيّاه، يقول له: هل ركبت البحر ؟ تعظيمًا له، واستصعابًا لما فيه، وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتابًا في النّحو بعد كتاب سيبويه فليستح.[6]

لقد أجْمَعَ العلماء في عصره ومن بعده على أنّ الكتاب هو النّحو جميعه لا جُلّه، يسُوق ابن النديم رواية عن صاعد بن أحمد يقول: «**لا أعرف كتابًا أُلِف في علم من** العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثّاني كتاب أرسطو طاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه النّحوي فإنّ كلّ واحد من هذه الكتب لم يشذ عنه من أصول فنّه شيء إلاّ ما **خطر** له».[7]

لَقيَ كتاب سيبويه ذيوعًا كبيرًا وروجًا منقطع النظير عند المشتغلين بالعربية، وكأنّ هذا التّأليف الظاهرة وضِع ليتعلّم العلماء منه فقط لا كل النّاس، فانْصبَّ العلماء على قراءته وتوجهوا

بجهودهم وإمكاناتهم إلى خدمة هذا الكتاب شرحًا وتعليقًا. وفي هذا الصدد أحصى عبد السلام هارون خمسة وخمسين عالِمًا من أئمة العربية بين شارح للكتاب، وشارح لمشكلاته،[8] وفي هذا يقول: «**لقي** كتاب سيبويه منذ ظهوره حظا سعيدًا لدى العلماء، وقديمًا قالوا: إنّ الكتب تشقى وتسعد كما أن الإنسان يشقى ويسعد. ولكن تلك السعادة في الحظ **كانت** عن أصالة في البنيان، ومتانة في التّكوين.»[9]

لقد كان كتاب سيبويه ظاهرة غير متكررة حوى الأبجديات والكليات العلمية والتعليمية والمضامين العميقة والتفاصيل المطلوبة، والإشارات العقلية والنّصوص النقلية في انتحاء **سمت كلام العرب فرسّخ بذلك علم النّحو الّذي عَمِل** فيه «كتابه الّذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده.»[10]

المادة التعليمية في كتب القدماء :

استوعب كتاب سيبويه دقائق النّحو ومسائله الّتي وجهت وأرشدت اللّغة لتحافظ على طبيعتها وسلامتها وتضمن استمرارها وصحتها، فكانت مضامين النّحو في الكتاب وفي المصادر التي ظهرت **من بعده تحظى بإكبار العلماء، وتوضع في مرتبة** المقدّسات التي لا يقبل الجمهور من أبناء الأمّة المساس بها. وقد أصبحت جهود علماء النّحو من البصريين والكوفيين مصروفة لتقديم المادة النحوية بشكل تتحقق فيها الغاية التعليمية والعلمية معًا دون إقصاء لجزء من هذه المادة، وكأن جوهر الخلاف بين المذهبين البَصري والكوفي مُنحصرٌ في نسبة الأخذ من كلام العرب فالبصريون

يرون الالتزام بمبدأ الانتقاء في الاستدلال، والكوفيون يرون حرية الأخذ بكلام العرب كلّه.[11]

وقد أعقبت مرحلة سيبويه حقبةٌ لم يُشهد فيها نحويون ابتدعوا مادة نحوية مغايرة أو مكمّلة لما جاء في الكتاب، فظلت جهودهم منصبّة على ما حواه الكتاب فلم يضيفوا بابًا أو مبحثًا، ولم يقصوا مسألةً أو شاردة نظروا إليها بعين الفتور، ليجعلوها من دواعي التّرف العلمي.[12]

الغاية من النّحو وتجاوز الطرائق العملية المختزلة في العرض والأسلوب :

كانت غاية النّحويين القدماء بعد سيبويه هي محاولة تيسير النّحو وتذليل تعليمه، والوصول بطالبه ودارسه إلى معرفة كلام العرب، والتّكلم على سمته وأن يكون هذا العلم ضابطًا يحكم النّطق السليم، ويرمي إلى تزويد المتعلّم بالقدرة على استعمال الألفاظ مفردة، أو مركبة استعمالاً يصيبُ به دقائق المعاني الّتي تجري في ذهنه.

وحتّى تُدرك هذه الغاية فتتحقق كل نتائجها مُجتمعةً دون شجب أو إقصاء أو تعميم أسْرَف العلماءُ في الطول وغموض الأسلوب، وعدم مراعاة مستوى الدارسين، فاستنطقوا مضامين من غير المادة النّحوية لقد ضمّت مؤلفات القدماء وعلى رأسها كتاب سيبويه المادة النّحوية إلى جانب موّاد أخرى تداخلت مع النّحو فكرًا وذوقًا وأسلوبًا لأنّ النّحو في بدايته كان وسيلةً وغايةً في الوقت نفسه. ولعلّ هذا من الأسباب الّتي جعلت مفردات المادة يعتورها الاضطراب في العرض لا في التحليل.[13]

وعلى الرّغم من محاولة كثير من النّحويين اجتناب الإسراف في الطُّول بتقديم الأبواب والمباحث بصورة موجزة ليسهل تعلمها مثل كتاب الأوسط في

النّحو للأخفش الأوسط (ت 215هـ) ومقدمة في النّحو لخلف الأحمر (ت 180هـ) وكتاب مختصر النّحو للكسائي (ت 189هـ) وكتاب آخر لليزيدي (ت 202هـ)، وآخر للجرمي (ت 225هـ) وآخر لأبي موسى الحامض (ت 300هـ) وآخر للزّجاج (ت 311هـ)، وكتاب الموجز لابن الخيّاط (ت 320هـ)، والجمل في النّحو للزجاجي (ت 337هـ) والتّفاحة لأبي جعفر النّحاس (ت 338هـ).[14]

وبالنظر إلى ما وصلنا من هذه المؤلفات نكتشف إبعادها لكثير من القضايا النّحوية الّتي تستحق الاستيعاب والحفظ. كما أنها أوجزت دون إبداع أو نظر؛ ولذلك لم تلق الرّواج الّذي لقيته كتب المتقدمين التي لم تكن مقصورة على القواعد بل حوت تحليلات عميقة وملاحظات كيسّة ونظرات فاحصة، جَعلت منها كتب نحو، وتفكير تعكس الرقي الفكري للحضارة الإسلامية.[15]

1/- اضطراب أسلوب القدماء في عرض المادة النحوية:

سعى كثير من النّحاة القدماء إلى ضرورة تقديم المادة النّحوية بطريقة تعليمية يسيرة مغايرة في أسلوبها أساليب المدونات النحوية الكبرى. وقد كشفت كثير من عناوين الكتب القديمة توخي المنهج التعليمي في تقديم المادة النحوية. ومن أشهر المؤلفات التي تحقق فيها هذا الغرض اجتنابًا لغموض الأسلوب، كتاب الواضح والموضّح لابن الأنباري (ت 327هـ)، والإيضاح لأبي علي الفارسي (ت 337هـ)، والواضح لأبي بكر الزبيدي (ت 329هـ)، والموضح للحوفي (ت 420هـ) .[16]

إنّ هذه المؤلفات أيضًا وغيرها لم تستمِل إليها الجوانح والملكات، بالقدر الّذي استمالته الكتب المطوّلة التي تميّزت بمتانة الأسلوب ورسوخه

وقوة العرض ومهارته والتحليل العلمي الفائق.

والظّاهر أنّ التّبسيط والوضوح الشديد في التأليف، كان في نظر أهل هذا العلم مُغيّبًا لرُوح المادة النّحوية وشرفها، ومُتلفًا لجوهرها وأبعادها الفكرية. ولذلك حينما حاول المبرّد (ت 285هـ) أن يتوخى منهجًا مُحْكَمًا في تقديم المادة النّحوية رأى أن يخالف سيبويه فألف كتابه المقتضب، الذي لم يسلم كذلك من الاضطراب والتداخل، على الرغم من بعض الوضوح الذي تطلبه المنهج التعليمي السليم للدارسين.

وبذلك يمكن أن نلخص الصعوبات التي اعتورت كتب النحو عند المتقدمين في الاضطراب وانعدام الخطة المحكمة في بناء المادة، فقُدِّم ما حقه أن يتأخر، وأُخِّرَ ما حقه أن يتقدم، ناهيك عن انفصال المسائل والمعلومات بعضها عن بعض، وحقها التتابع والاتصال بالإضافة إلى تداخل المباحث النحوية والصرفية والصوتية وكان الأحرى أن ترد مستقلة منفصلة ومرتبة.[17]

2/- عدم مراعاة مستوى المبتدئين:

كانت المؤلفات النّحوية عند القدماء تتوخى المادة النّحوية بالتماس أدلتها وعللها وإشكالاتها، وأحسن مثال في ذلك كتاب سيبويه الّذي ضمّ قضايا كثيرة تطلبت التفصيل والتوضيح، فانشغل به عددٌ كبيرٌ من العلماء، ووضعوا مصنّفات أخرى تُمهّد لقراءته، وتُساعد على فك مغاليقه بطرق عرض مختلفة وبأساليب ومرجعيات مُتباينة، أفرزتها المرحلية التاريخية والمذهبية الفكرية التي وجهت حركة التأليف بخاصة في القرن الرّابع الهجري، وأشهر المؤلفات التي عنيت بالتفصيل في

القضايا النّحوية أكثر من القواعد والأدوات، شرح الكتاب للسِّيرَافي (ت 364هـ) **وشرح الكتاب للرّماني (ت** 384هـ)[18]، ومثل هذين الشرحين أسرفا في التّأويل والتعليل، واصطناع المنهج **المنطقي في الأسلوب** والعرض. وإلى جانب هذين المؤلفين وُجدت شروح أخرى مستقلة، حاولت تبسيط المادة النّحوية بمراعاة مستوى الدارسين،[19] مثل غريب كتاب سيبويه **للجرمي (ت** 225هـ)، والإرشاد في النّحو لابن درستويه **(ت** 347هـ)، والمبتدى لابن خالويه (ت 370هـ).

واستمرت محاولة التبسيط ومراعاة المبتدئين في مرحلة متأخرة عن هؤلاء، مثل كتاب الدروس لابن الدّهان (ت 569هـ). وكلّ هذه المحاولات كانت مُجرّد جهود تأليفية لم ترق **إلى** مستوى الذيوع والشهرة بل كانت عاملاً مؤثرًا في الانشغال والعناية بما حواه كتاب سيبويه[20] الّذي لم يكن مجرّد قوانين **مُفرغة من نَفَسِ الصدور الّتي احتضنت لغة القرآن** الكريم، وإنّما هو مدونة نحوية كبرى ضَمِنت للغة العربية خصوصية البقاء والتواصل، على مدى مراحل متتابعة إلى يومنا هذا.

3/- الإسراف في التعليل:

حوت المصادر النّحوية القديمة وعلى رأسها كتاب سيبويه العلل التعليمية والعلل القياسية، أمّا العلل التعليمية فلا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال فالحاجة إليها مطلوبة دائمًا لأن هذه **العلل** « ... يُتوصل بها إلى تعلّم كلام العرب، لأنّنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كُلَّ كلامها منها لفظًا، وإنّما سمعنا بعضًا فقسنا عليه نظيره، **مثال ذلك** إنّا لمّا سمعنا قام زيد فهو قائم، وركبَ فهو راكب عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهبَ فهو ذاهب، وأكل فهو آكل وما أشبه ذلك ... »[21]

إن الكتب السابقة وفي مقدمتها كتاب سيبويه حوَت عللاً تعليمية، وعللاً قياسية وأخرى جدلية، والعلل الأولى هي التي يمكن عدّها من المنهج التعليمي اليسير، ولكنّها لا تفي وحدها بالغرض التحصيلي، ولا يمكن أن تُحقق غاية فك النّصوص المستغلقة، فهي تحتاج إلى دعم العلل القياسية وأحيانًا الجدلية. وإذا كانت العلل الأولى تقتضيها الطبيعة اللّغوية، فإن العلل الثانية تستند إلى الافتراضات، ولذلك لا بأس من التخفيف فيها والإنقاص منها في تحصيل النّحو العربي للدارسين وتجاوزها عند المبتدئين، فجوهر اللّغة محفوظ بالرواية والفهم والدُّربة ولا يضرُّه على سبيل المثال الإسهاب في الحديث عن الفعل المضارع ولماذا أُعْرِبَ ؟ ولماذا سُمِيّ بالمضارع ؟ والإيغال في مثل هذه التساؤلات أفقد النّحو غايته الأولى الّتي وضِعَ من أجلها وأصبح هذا العلم مختلطًا بعلم الكلام، ليتبنّاه كُلّ من ألف فيه بطريقته ووجهة نظره وفكره، فلا يُفْهَمَ إلاّ من قبل المشتغل به.[22]

وقد أحسن التعبير عن هذا الأمر أبو علي الفارسي حين قال « لو كان النّحو ما يقوله الرُّماني لم يكن معنا منه شيء ولو كان النّحو ما نقوله لم يكن معه شيء».[23] لقد حاول إذن عدد كبير من علماء النحو المتقدمين إجلاء مضامين ومفردات المادة النحوية وفك ما استعصى منها وأحيانًا البحث عن بدائل على مستوى الترجيح في بعض المسائل، والمغايرة في المسميات وبعض المصطلحات. هذا ما ظهر في نحو الكوفيين، خصوصًا عند الفراء (ت 207هـ) الذي عدّه أحمد مكي الأنصاري رائد التيسير في النّحو العربي.[24] ويبدو أنّ منهجه السّهل وأسلوبه البسيط والميسّر فيما عرضه من مادة نحوية، وقعا موقِع

قَبول واستحسان عند الراغبين في تبسيط المادة النحوية فقالوا : « إن دام هذا على هذا عَلِمَ النّحوَ الصّبيان.»[25]

وكأنّا بهذا القول يؤكدّ لنا أنّ النّحو قبل الفرّاء وفي عهده موضوع للنّخبة وليس للمبتدئين، وطالبه في هذه الحالة لابد أن يكون مؤهلاً لاستيعابه، باشتراط معرفته المُسبقة بمضامينه الكبرى مع إرادة الرغبة في طَلَبِه وفقاهة مدوناته النصية أولها القرآن الكريم وثانيها كلام العرب شعرًا ونثرًا.

والظّاهر أنّ نحو الفرّاء كان نحوًا مُيَسَّرًا، لم يوغل فيه صاحبه في العويص، ولا في المُشكل. وهو أنسب في تعليم النّشء لتحصل البوادر الأولى للملكة اللّغوية وهذا يتفق كثيرًا مع رأي الجاحظ في دعوته المعلمين إلى تبسيط النّحو، بطريقة لا يرهق فيها المتعلِّم، وأن يكون غاية لإكسابه المهارة «... بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللّحن، ومن مقدار جهل العوام، في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به...».[26]

إذا كان النحويون القدماء قد مارسوا علم النّحو وأسسوا له بحكمة ودأب بالغين حتّى لم يبق جليلٌ لأمر، ولا صغيرة لقائل بعدهم قول، فماذا أضاف المتأخرون لهذا العلم؟ وقد وعوا وأدركوا من قبلُ ومن بعدُ أنّ هذا العلم لم ينضج ليحترق، وإنما ليُحفظ ويُحصّل، ولذلك فهو في حاجة مستمرة إلى الترويض والتّليين والتّمرين، ليصل بطالبه في كلّ مرحلة إلى مبتغاه فيُفهم كلامه وتسلم لغته، وتتجلى مراميه ومقاصده. هذا ما أدركه المتقدمون حينما انشغلوا بما انطوى عليه كتابُ سيبويه من

ترسيخ « أصول هذا العلم والكشف عن أغراضه، والغوص في دقائقه وخفي مقاصده، وعلى ما ضمّ من منثور المسائل وتشتيت الفوائد، ومَا بُذِل في تأليفه من جهد الفكر وإعنات الرويّة».[27]

كان هذا دأب كثير من العلماء القدماء حتى القرن الخامس الهجري، ليبدأ بعد ذلك منعطفٌ آخر في صياغة هذا العلم صياغة اقتضتها المرحلة بتغيراتها الفكرية، والثقافية، والاجتماعية. فتوجهت جهود العلماء فيها إلى تيسير قواعد النّحو، وتحريره من المغالاة في التأويل والاسترسال في التّخريج، وتخليصه من الإغراق في التعليل وحدّة الخلاف بين مذاهب العلماء القدماء.

النّحو التعليمي وإعادة ترتيب المادة مع الإيجاز:

يُعد الزّمخشري (ت 538هـ) أبرز المتأخرين الذين حاولوا تقديم المادة النّحوية بمنهج محكم يُحقق غاية المتعلمين والمبتدئين في تحصيل المادة النحوية، وهو النّحوي العقلي المتمرس الذي بلغَ منهجه الاعتزالي في القراءة اللّغوية شأنًا كبيرًا، لكنّه استطاع في كتابه "المفصل في علم العربية" أن يتفرد بغاية تعليم المادة وتحصيلها النحوية بطريقة مغايرة لمنهج القدماء، ولعلّ عنوان كتابه يكشف جيدًا ما كان يطمح إليه من تحديث، وابتكار في العرض والتّرتيب، والتّفصيل السّديد، دون إطالة أو استطراد، واللاّفت للنظر أنّه خَصّص تسمية مُصنّفه بـ "علم العربية" وهو بذلك يقصد النّحو والصّرف، فقال عن القدماء «... إنّهم لا يجدون عِلْمًا من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تغيرها وأخبارها إلاّ وافتقاره إلى العربية بيّن لا يُدفع».[28] فقد شاعت عند القدماء هذه التسمية

بهذا المفهوم يقول الزّبيدي في ذلك «**أوّل من وضع** العربيّة أبو الأسود الدؤلي».[29]

وقال ابن النّديم : «إنّما قدّمنا البصريين أوّلاً. لأنّ علم العربية عنهم أُخِذَ».[30]

وقال ابن الأنباري (ت 577هـ) «**إنّ أوّل مَن وضَعَ** علم العربية وأسّس قواعده، وحدَّدَ حدُودَه أمير **المؤمن**ين علي بن أبي طالب -ت-».[31]

ولعلّ هذه التّسمية أي العربية تُكسب اللّغة خُصوصية معيّنة راسخة في أصالتها وانتسابها **العرقي والعقدي قال تعالى: [إنا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا** عَرَبِيا]سورة يوسف: الآية 02

إنّها لغة تتميز عن سائر اللّغات بِكون هذا **العلم متصلاً** بها اتصالاً وثيقًا وهو بها وإليها أوسع من القوانين والقواعد الوضعية الضيّقة ؛ إنّها تسمية تحمل صفة الشمول والاستيفاء والخلود، بتجاوز مرحلة التطبيق والاستقراء الميداني إلى مرحلة التنظير المرتبط بالعلم ليُطلب دون عسرة **أو إنقاص.**

لقد تخلص الزمخشري في كتابه ممّا وقع فيه **القدماء، وأصحاب المدونات الكبرى من تداخل** الموضوعات، واضطراب المعلومات، ولعلّه يمثل خلاصة المذهب البغدادي الذي استقصى وتتبع قراءةً وفهمًا وتحليلاً مصنّفات جميع أئمة النّحو المتقدمين من البصريين والكوفيين.[32]

فالزمخشري درس كتاب سيبويه واشتغل بالتفسير وباللغّة فرسخ علمه وشدّ إليه أفهام الطلاب الذين أخذوا عنه، وهُم معجبون بملكته واقتداره على التفصيل الموجز والتّلخيص، وبخاصة في كتابيه "الأنموذج" و "المفصل"، هذا الأخير الذي عُني بوضع

حاشية توضيحية له ليكون بعد ذلك مدونة استدعت شرحًا ضافيًا وافيًا عند ابن يعيش (ت 643هـ).[33]

توخى الزمخشري في مفصله تقسيمًا جديدًا محكمًا، فوزع المادة النّحوية على أربعة أقسام، قسم للأسماء تحدث فيه عن المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والنسب والتّصغير والمشتقات، وقسمٌ للأفعال وضروبها وأنواعها المختلفة، وقسم ثالث في الحروف وأصنافها **من حروف عطف وحروف جر وحروف** صلة وغيرها. ثُمّ ينتهي إلى القسم الرابع فخصّه للمشترك وأراد به الإمالة والزّيادة والوقف والإبدال والإعلال والإدغام. لقد جمع بين الموضوعات النّحوية والموضوعات الصرفية دون تداخل أو **اضطراب كما عمد في العرض إلى شدّ الألباب بالإشارات** التي توقد الأذهان وتفتق القرائح بتفصيل موجز لم يُخّل بالبناء الفكري والتعليمي للمادة النّحوية.[34]

لقد عدّه ابن خلدون من المتأخرين أصحاب المختصرات الذين اختصروا كثيرًا من الطول مع إحاطتهم الواسعة بجميع ما نقلوه عن المتقدّمين مقتصرين في ذلك على المبادئ لأجل تقديمها للمتعلمين. لقد أحاط بكافة الأبواب النحوية مقربًا إياها إلى الأفهام بإيجاز غير مُخل وتلخيص غير مُمِّل.[35] وهذا ما دفع ابن يعيش إلى القول : «ولا أدّعي أنّه رحِمَه الله أخلّ بذلك تقصيرًا عمّا أتيت به في هذا الكتاب[36] **إذ من المعلوم أنّ من كان قادرًا على بلاغة** الإيجاز كان قادرًا على بلاغة **الإطناب ...**»[37]

فالمفصل وُضعَ لغرض تعليم النّحو وتحصيله، ولذلك جَمَعَ فيه صاحبه أصول هذا العلم فأوجز لفظه ويَسّر على طالبه تحصيله.[38]

ولكن على الرّغم من الخطة المحكمة التي توخاها الزمخشري لمعالجة ظاهرة الإسراف فإنّ **المبالغة في** الإيجاز قد ضيّع عنده، وعند من سلك طريقه « الغاية والأهداف الأساسية التي نشأ من أجلها هذا العلم، فغايته أن يصل بالمتعلم إلى معرفة كلام العرب، والتكلم على سمته، وأن يكون ضابطًا بحكم النّطق السليم، ويرمي إلى تزويد **المتعلّم بالقدرة على استعمال الألفاظ مفردة ومر**كبة استعمالاً يُصيبُ به دقائق المعاني التي تجري في ذهنه».[39] لأنّ كثرة الاختصار مُخلّ بالتعليم والتحصيل، وهذا يؤدي إلى إحداث خلط لدى المبتدئ بين الغايات والاستعداد لها فتتزاحم في ذهنه المعاني فلا يستطيع بذلك استخراج المسائل. فما هو السبيل إذن إلى المنهج الأمثل في تزويد طالب النّحو بوسائل الاقتدار على استعمال العربيّة وتوظيفها توظيفًا عمليًا؟ لا يخلو من ترسيخ خصوصية نظام هذه اللّغة التي وجهتها وأرشدتها النّصوص القرآنية، وكلام العرب شعرًا ونثرًا.

إنّ نصوصها محفوظة ومستقرة في الاعتقاد والذّوق، ومادتها النحوية **منسجمة تواصلاً «مع** العلم اللّغوي الحديث الذي لا يقر صعوبة لغة، وسهولة أخرى، ويرى أنّ لكل لغة نظامها الخاص الذي لا يجوز وصفه بصعوبة أو سهولة».[40] ومثل هذا تمثل في كتاب سيبويه الذي لم يكن كتابًا في النّحو فقط؛ وإنّما هو مدونّه في البحث في هذا **العلم الذي عبّر** عن نضج أفكار القدماء وإدراكهم الدقيق لخصوص نظام العربية.

النّحو التعليمي والعودة إلى استحسان التطويل والشرح:

لعلّ أحسن مَنْ مَثَّلَ ظاهرة التطويل في تقديم المادة

النّحوية ابن يعيش في مؤلفه المعروف بشرح المفصل **وقد رأى بأنّ فك مغالق المفصل للزمخشري ضرورة لابدّ منها**، ليُنزل الكتاب منزلته الحقيقية فيقرّبه إلى الأفهام شرحًا وتفصيلاً لأنّه « **مشتمل على ضروب** منها لفظ أغربت عبارته، فأُشكل، ولفظ تتجاذبه معانٍ فهو مجمل، ومنها ما هو بادٍ للأفهام أنّه خالٍ من الدليل مهمل ».[41]

والمتتبع لكتاب شرح المفصل لابن يعيش يدرك **مدى** استجابة هذا الأخير لتقريب ما حواه المفصل إلى الأفهام إلى درجة الإغراق في التطويل، والإسراف في شرح كلّ صغيرة وكبيرة، فانزلق بذلك في مبالغة التكثيف، والحشو وتحول بذلك الشرح إلى شبه « **دائرة معارف لآراء** النحاة من البصريين والكوفيين، والبغداديين حتى كأنّه لم يترك مصنّفًا لعلم من أعلامهم إلاّ استوعبه، وتمثل كلّ ما فيه من آراء تمثلاً منقطع النظير.»[42]

ولكن هذا الشرح المطوّل لم يقدم المادة النّحوية بشكل يمكّن طالبها من التحصيل لأنّ وفرة **المادة والشرح أصبح عائقًا في الاستحضار والحفظ** والإلمام، وهذا ما وقف عليه ابن خلدون حينما ذهب إلى أنّ كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل وهو القائل : « اعْلم أنّه ممّا أضرّ بالنّاس في تحصيل العِلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدُّدِ طُرقها ثُمَ مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ... ولا يفي **عُمْرَهُ بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجرّد** لها ...»[43]

فالنحو عند القدماء كان يتجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب وفي معظمه كان على **صلة بروح** اللغّة يتطرق إلى جوانب أخرى لاغنى للنحو عنها هذه الجوانب التي تنفذ إلى علم المعاني ليتحقق

الغرض من النّحو الذي نَصَّبَ العلماء الأوائل أنفسهم له.

والظاهر أنّ شرح المفصل لابن يعيش كتابٌ أرهقته المعلومات وأثقلته أساليب التلقين غير الخاضعة للتدرج المرحلي في التحصيل فالشروح وإن كانت وسيلة من وسائل التوضيح فإنّها منهكة للأذهان وذاهبة بالملكات اللّسانية والقدرات الفكرية في التعبير عن المقصود لأنّ هذه الشروح غارقة في دروب الصناعة التي تحتكم إلى القوانين والأقيسة أكثر من التدريب والممارسة في اكتساب الملكة والمهارات لغرض إجلاء المعاني وتقويم الألسن.[44] ومثل هذه الشروح غَيَّبَت آليات الإبداع في التأليف ولهذا لا يمكن أن تمررها إلى من يتعلم منها ويتلقى عنها.

النّحو التعليمي والجمع بين الإيجاز والتطويل:

درج كثيرٌ من العلماء المتأخرين في مرحلة لاحقة على العناية الشديدة بصناعة النّحو[45] لا بالنّحو ذاته، وتظافرت جهودهم لتأليف أكبر قدر من المصنّفات في هذه الصّناعة، وهذا ليس بعيدًا عن التأثر ببعض المرجعيات الفكرية مثل ما كان عليه الأمر في المغرب، ولذلك تباينت مذاهبهم وأفكارهم، فكان لكلّ طائفة منهم وجهة بارزة في كلّ مسألة. والظاهر أنّ أهم المرجعيات التي مارست تأثيرها المباشر في المادة النحوية خصوصية المرحلة والمذهب الظاهري الذي حمل لواءه الفقيه ابن حزم الظاهري (ت 456هـ) الذي استبعد القياس في استخلاص الأحكام الفقهية، وانسحب هذا الأمر على العلل النّحوية، فأنكرها وحكم عليها بالفساد،[46] فاكتملت ملامح المدرسة الظاهرية على يده، لتزاحم

منهجا وفكرا المذاهب الأخرى.[47]

ومع بداية القرن السادس الهجري بدأت دعوة بعض العلماء إلى تخليص النّحو من الصناعة الفلسفية، والوقوف بها عند المسموع والمأثور من كلام العرب لتكتمل هذه الدعوة على يد ابن مضاء **القرطبي (ت** 592هـ) « فبدا أنّه اتخذ مذهبه في أصول النّحو على مثال مذهبه الظاهري في أصول الفقه فأنكر القياس كما أنكرته الظاهرية ».[48] **فالعصر** الذي عاش فيه كان عصر الموحدين الذي أحدث ثورة على المشرق وأوضاعه وبخاصة في الفقه وفروعه.[49]

لقد وجد ابن مضاء «مادة العربية تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات وأقيسة وشعب وفروع وآراء لا حصر لها.»[50] **فدعا متأثرًا بما تبنّاه من** أفكار إلى التملص منها والاحتكام في جميع الأحوال **إلى النّص لا إلى القواعد. فاللّغة والنصوص** المحفوظة عنده هي التي تصنع النحو وليس النّحو هو الذي يصنع اللّغة، **وبذلك تتخلص الدروس** النحوية من كلّ التأويلات والأقيسة المُقحمة في نظره بقوة في جميع أبواب النّحو، وهو وإن دعا إلى إنكار العلل والأقيسة والعوامل استهجن الجدل النظري، والحجاج الفلسفي، فإنّه لم يقدم بديلاً لما دعا إلى إقصائه فلم يقم أصولاً جديدة **تحل محل الأ**صول الأولى عند القدماء، ولهذا بقيت دعوته على مستوى الدرس النّحوي مجرّد آراء نظرية في تهذيب النحو وتيسيره وما هذا على المُنظرين من قبله ومن بعده بعسير.[51]

والظاهر أن بعض المتأخرين بالأندلس نحوا منحى قريبًا من منهج المتقدمين بالمشرق في إعادة صياغة المادة النحوية في كتاب سيبويه شرحًا وتعليقًا مع النظر، وإضافة بعض الاختيارات التي ميّزت المرحلة، ومذهبها كما نجد ذلك عند ابن

خروف القرطبي (ت 609هـ) الذي قام بشرح كتاب سيبويه وكتاب الجمل للزّجاجي.

وهذان الشرحان لم يغلب عليهما التطويل الذي غلب على شروح كتاب سيبويه عند المتقدمين، هذا بالإضافة إلى استثمار ابن خروف لنّص الحديث النبوي الشريف في الاستدلال، ممّا لم يكن واردًا عند الأوائل[52] الذين عكفوا على الاحتجاج بالقرآن الكريم وبكلام العرب دون الحديث الشريف فابن خروف في شرح الكتاب يقول: « قصدت في هذا الكتاب بيان مقدمات تُحصر كثيرًا من أصول العربية على سبيل الإيجاز، وبيان الأهم من كلام أبي القاسم الزجاجي -رحمه الله- في الجمل ونبّهت على شواهِدِه بما فيه الكفاية، وبعض أوهام شارحيه لينتفع به المبتدئ الرّاغب، ويقف عند غوامضه المنتهي الثاقب، وتركت تتبع ما ذكر من عقد غير مخلّص، ونظام غير ملخّص، إذ وضعه للمبتدئين واتكل في بيانه على المعلمين وقصد الإيجاز على مذاهب العرب في الاتّساع والمجاز والاشتغال بذلك تضييع للزّمان في غير شأن ... »[53]

فالغرض إذن من التأليف في النحو عند ابن خروف هو إفادة المبتدئ وإرضاء المتقدم في هذا العلم بما ورد في آثاره من شوارد وملاحظات اقتضاها القرن السادس الهجري الذي عاش فيه هذا النحوي الذي أعَاد إلى النّص حقّه في توجيه القواعد. فتوسل بالحديث الشريف إلى إثراء القواعد النحوية وعدّ هذا عنده منعطفا حاسما، في توسيع مصادر الاحتجاج، على الرغم من الإيجاز الذي اعتور شرحه، ولعلّ هذا يعود إلى افتراض معرفة المبتدئين بالكليات النحوية التي تضمنها كتاب سيبويه.[54]

ومن العلماء الذين زاوجوا بين التطويل والإيجاز في التأليف وابتدعوا لذلك طرائق وأساليب متنوعة بغية تيسير المادة النّحوية وتقديمها للمتعلمين بما يناسب المبتدئين ابن **مالك الأندلسي (ت** 672هـ) إنّه تلميذ ابن يعيش وابن الحاجب الذي أفاد منهما فأسس باقتدار للمنهج التعليمي، فاختصر المطوّلات مستوعبًا جميع ما نقل من علم النحو فصاغه صياغة نظمية مُيسرة، تمثل ذلك في كتبه المنظومة مثل المؤصّل في نظم المفصل والخلاصة، وهي المشهورة بالألفية **كما ألف نظمًا** آخر قبلها في ثلاثة ألف بيت سُمي بالكافية الشافية.[55] فكانت هذه المنظومات التعليمية جُهدًا متميّزًا في اختصار كثير من المضامين المطولة في المادة النّحوية، كما كانت شروح ابن مالك المطولة مثل شرح التّسهيل أنموذجًا آخر للنفاذ في دروب التحصيل **وإبر**از الاقتدار في هذه الصّناعة مع الإسهاب في الشرح والتمثيل.

إنّ مسمّيات هذه التآليف نحو الألفية والكافية الشافية وشرح التسهيل، تكشف بوضوح عن منهج النّحو التعليمي الذي اتضحت معالمه في عصر ابن مالك ممّا يفسّر التفات العلماء إلى تآليفه فأولوها العناية شرحًا وتعليقًا،[56] ولم يتركوا شاردة أو واردة في مصنّفاته دون ملاحظة أو تعليق إلى حدّ ازدحمت فيه الآراء وتباينت الأساليب دون استنطاق مواضع التجديد والإبداع في تلك التآليف والتماس وجوه التفرّد أو التميز فيها، مثل توسيع دائرة الاحتجاج بالنّصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف الذي أمدّ القواعد بنفسٍ لغوي جديد مُثرٍ ومليّن للقوانين النحوية **الصارمة**.[57]

لقد مارس ابن مالك النّحو التعليمي تأليفًا

وتلقينًا، وغايته في ذلك تقديم قواعد اللّغة دون عنتٍ أو إرهاق ولذلك لم يغال في التفصيل والتقسيم ولم تعد مؤلفاته ومؤلفات العلماء **من** أصحاب النحو التعليمي بمرتبةِ « بحوث يتقدم فيها أصحابها بتوجيهاتهم الخاصة للظواهر موضوع الدراسة، مستندة إلى أدلتهم عليها، بل كانت فيما يريد أصحابها أعمالاً تعليمية تقدم ما يوشك أن يكون قد استقر الاعتداد به من أفكار واتجاهات».[58]

النّحو التعليمي والتجديد في العرض واستنطاق المادة النحوية:

بعد عكوف النّحويين المتأخرين بالأندلس على شرح **المصنّفات واختصار المطولات بطرائق مختلفة تراوحت** فيها المادة العلميّة بين التكثيف المرهق والإشارة المبهمة، فإنّ النحويين بمصر سلكوا السّبيل نفسه فاندفعوا إلى الشروح واستمروا في ذلك إلى أن ظهر ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) «**الذي** عُرفَ بكتابه الشهير مُغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، وهو كتاب جليل جامع غزير المادة انتحى المؤلف في تألفيه نهجًا جديدًا.»[59] شدَّ إليه القرائح والألباب بما استوفى فيه من أحكام الإعراب إجمالاً وتفصيلاً، فأغنى بالكتاب عن كل سؤال أو استبهام، لأنّه استنطق المادة النحوية بحثًا وتحليلاً، فأشار إلى نكت إعراب القرآن والحديث النبوي الشريف ففك ما أقفل واستغلق منها،[60] مُنبّها ومُسائلا ومُناقشا ومُصوِّبا، فكان مثالا يُحتذى في تقديم المادة النحوية دون رتابة أو ملل.

ذكر ابن هشام في مقدمة كتابه المُغني الدّافع إلى تأليف الكتاب، ونهجه في ترتيب المادة النّحوية وعرضها، منبّهًا إلى الأخطاء التي وقع فيها المؤلفون والمعربون قبله والظاهر أنّ

المنهج والمضمون في تقديم المادة النحوية واللّغوية لم يرضه فأبدع مجتهدًا ومبتكرًا، وتجاوز بذلك التقليد والتكرار المُخلّين بتحصيل المادة النحوية مُصحِحًا لنفسه ولغيره في توجيه الدرس النّحوي. فهو إن كان قد تناول الجزئيات في كتبه الأخرى كأوضح المسالك ..." و "الشذور" وشرح الشذور، وقطر الندى وبل الصدى ... فإنّه في المغنى ينفردُ بمنهجٍ وصياغة أخرى للمادة النحوية فيقول : « وممّا حثني على وضعه أنّني لما أنشأت في معناه المقدمة الصغرى المسمّاة بـ "الإعراب عن قواعد الإعراب" حَسُنَ وقعها عند أولي الألباب، وسَار نفعها في جماعة الطلاّب، مع أنّ الذي أودعته فيها بالنسبة إلى ما ادخرته عنها كشذْرة من عِقد نحْرٍ، بل كقطرةٍ من قطرات بحْرٍ ...» [61]

لقد اشتغل ابن هشام بالدرس والبحث، فامتلك القدرة على مُناسبة الكم للكيف فيما وضعه من تصانيف فسلك في ذلك منهج الباحث الحرّ، الذي تسلّح بآليات الابتكار في المغني مقدّما لأولي الألباب ممّن لهم دِراية عميقة باللغة وللمبتدئين الذين سينتفعون بما فُكّ فيه من مُستغلق وبالإشارات، والشّوارد الموضّحة والمُفصلة للكليّات التي درجوا عليها تعلمًا، إذ يقول: «ووضعت هذا التصنيف على أحسن أحكامٍ وترصيفٍ، وتتبعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها، ومعضلات يستشكلها الطلاّب فأوضحتها ونقحتها، وأغلاطًا وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنّبهت عليها وأصلحتها» .[62]

إنّ المُغني يمثل منهجًا متميزًا في الدرس النّحوي فصاحبه ابن هشام، لم يتّبع فيه المنهج القديم في تقسيم مباحث النّحو، إذ قسمه قسمين كبيرين جعل الأوّل للمفردات، والقسم الثاني للجمل وأشباه الجمل، وما يتصل بهما من أحكام، مُزاوجًا

في ذلك بين المادة النحوية والمادة البلاغية، وفي مواضع ليست بالقليلة زواج بين المادة النّحوية والمادة الشرعية فقهًا وتفسيرًا مع الاستطرادات اللّطيفة التي جعلت المادة النّحوية غير جاهزة ومستنطقةً نَصا وعقلاً وذوقًا.[63]

وهذا المنهج في العرض يذيبُ القطيعة بين المعلم والمتعلم ولذلك قال عنه ابن خلدون: «**وصل** إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه **أحكام الإعراب مُجملة ومفصلة وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر** أبوابها، وسمّاه المُغني في الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها. فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها ... فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه...»[64]

إنّ ابن خلدون أوردَ رأيه هَذا حُكْمًا على فترة شاع فيها النحو التعليمي في شكل شرح المختصرات، واختصار المطوّلات موجّهة في معظمها للمبتدئين بالتركيز على استعراض لِما استقر في النّحو من تحديد أنواع الكلمة، وأنماط الجملة، وعناصرها وعلاقتها مع التمثيل والاستغناء عن التفصيل **المُ**سرف، والخلاف المعارض، والشاهد المتنوع، مع تخطي التعليل، وإهمال التأويل.

والظاهر أنّ المؤلفات المختصرة والشروح التي وضعها ابن هشام من قبل كانت تنحو هذا المنحى الذي عدّ سمة مشتركة بين عدد كبير من المؤلفين، فشكل منعطفا فعالاً في النّحو التعليمي عند المتأخرين ولذلك لم تدرج هذه المصنّفات في عبارة

الثناء التي أسداها ابن خلدون إليه.[65]

إنّ مصنّفات ابن هشام المختصرة وإن كانت موضوعة للمبتدئين مثل "القطر"، والشذور، وما وضع عليهما من شرح، لم تخل من «عرض قدرة الشارح وإحاطته بما يتجاوز به هؤلاء الدارسين من فوقهم من المتعلمين بل إنّه ـــ في بعض الأحيان ـــ كان يُضمِّن شرحه بعض ما يرقى إلى مستوى الباحثين المتخصصين».[66]

لقد ألف ابن هشام لجميع المستويات دون أن يهمل الملامح المتأصلة في المادة النحوية، فكشف عنها بطرائق بديلة، وبإعادة الترتيب أحيانًا، ومرة بالاختصار والإشارة، وطورًا بالنّص واستنطاق القاعدة، والعكوف على البحث والتخريج؛ وقد تم ذلك عنده بوعي وإدراك كبيرين، مما دفع إلى التماس علم النحو عنده بطرائق جديدة محافظة على روحه وحيويته لاكتساب الملكة اللغوية عن طريق صناعة الإعراب التي لم تكن عنده مجرد قواعد بل هي وسائل للممارسة اللغوية العميقة.

يمكن القول في الأخير إنّ التواصل بين القدماء والمتأخرين في تقديم المادّة النّحوية ماثلة في تآليفهم الكثيرة والمتنوّعة، أثبت رسُوخَ النّحو التعليمي وحُضُوره في كلّ الأزمنة والأمكنة، بملامح وطرائق مرحلية لم تزعزع المتون الكبرى ولم تؤخر المتون الصغرى ؛ هذه المتون التي انطلقت فنا وعلماً، وتواصلت صناعةً وتعليماً، ثمّ استمرّت ممارسةً، لأنّ بناء المادة النّحوية ضاربٌ بجُذوره في الأعماق المعرفية والتاريخية عند أمّة كان النحو هو آلة نسيج عقلها ووعيها، لقد تواصل النحو العربي دون تعثّر عبر مراحله، فلم تُقوّضه النظريات والأفكار التّي كانت تسعى إلى البدائل

الجذرية لأنّه اكتسب خصوصيّة التواصل والاستمرار، بما توفّر له من معطيات البقاء التي لم يَطُلْها الانتقاد أو الذّم ؛ هذه المعطيات التي رسّخت هذا العلم بطرق الأداء، وبالسير على خطة المواقع الإعرابية المبيّنة للدلالات والمستشرفة للمقاصد.[67]

الإحالات

[1] - انظر نحو وعي لغوي، مازن المبارك، دار البشائر دمشق، ط (2003م)، ص 28_48.

[2] - انظر نشأة النّحو العربي في ترجمة أ بي الأسود الدؤلي بكتب الطبقات والتراجم.

[3] - النّحو في إطاره الصّحيح، يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة، ص 34.

[4] - الخصائص، ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط(2006م)، 34/1.

[5] - انظر تيسير العربية بين القديم والحديث، عبد الكريم خليفة، عمّان، ط1 (1986م)، ص 126.

[6] - انظر الفهرست، ابن النديم، تحقيق: مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط (1406هـ-1985م)، ص 234.

[7] - معجم الأدباء (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب)، ياقوت الحموي (أبو عبد)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1ذذ411هـ-1991م)، 117/16.

[8] - انظر: الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 (1408هـ-1988م)، 37/1-43 (مقدمة المحقق) .

[9] - المصدر نفسه، 37/1.

[10] - أخبار النحويين البصريين، السيرافي (أبو سعيد)، نشر وتهذيب: فريتس كرنكو المطبعة الكاثوليكية، خزانة الكتب العربية، بيروت، ص 48.

[11] - انظر: من تاريخ النّحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ص 73.

[12] - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، نعمة رحيم العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، 1995م، ص13.

[13] - المرجع نفسه، ص 15.

[14] - انظر: هذه العناوين في تراجم أصحابها في الفهرست لابن النديم.
[15] - نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1 (1993م)، ص 102.
[16] - انظر: هذه العناوين في الفهرست لابن النّديم.
[17] - انظر: في حركة تجديد النحو وتيسيره، ص15-16.
[18] - طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط2، ص 119. انظر: المدارس النّحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص 145.
[19] - انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطى (جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، (1406هـ-1986م)، 294/2.
[20] - انظر عناوين الكتب الواردة في المتن في الفهرست.
[21] - الإيضاح في علل النّحو، الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، ط5 (1406هـ-1986م)، ص 64.
[22] - انظر: المدارس النّحوية، شوقي ضيف، ص 147-148.
[23] - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المدني، القاهرة، (1967)، ص 389.
[24] - أبو زكرياء الفرّاء ومذهبه في النّحو واللّغة، أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، توزيع دار المعارف، مصر، ط(1384هـ-1964م)، ص 433.
[25] - انظر هذا القول في الفهرست، ص 302.
[26] - الرسائل، الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)، تقديم: وتبويب على بُوملْحِم، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، ط الأخيرة، ص205.
[27] - مع النّحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللّغة وأسرارها، صلاح الدين الزّعبلاوى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط (1992م)، ص6.
[28] - المفصل في علم العربية، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، ص 3.
[29] - طبقات النّحويين واللّغويين، ص 14.
[30] - الفهرست، ص 96.
[31] - نزهة الألباء، ص1.
[32] - المدارس النحوية، ص 277.
[33] - المرجع نفسه، ص283، وانظر المفصل في علم العربية، ص5.
[34] - المرجع نفسه، ص283.

[35] - مقدمة، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، دار الجيل، بيروت، ص 605. وانظر المفصل في علم العربية، ص 5.
[36] - ويقصد بذلك شرح المفصل.
[37] - شرح المفصل، ابن يعيش (أبو البقا يعيش بن علي)، تصحيح وتعليق: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، 2/1 .
[38] - المصدر نفسه، 2/1.
[39] - تيسير العربية بين القديم والحديث، ص 44، 45.
[40] - في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، ص 30.
[41] - شرح المفصل 1/ 2.
[42] - المدارس النّحوية، ص270.
[43] - مقدمة ابن خلدون، ص 578.
[44] - المصدر نفسه، ص220-222.
[45] - المصدر نفسه، ص605.
[46] - مع النّحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللغة وأسرارها، ص 90.
[47] - ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1969م)، 49/3. وانظر المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، دمشق، ط1 (1990م)، ص30 وما بعدها.
[48] - المرجع نفسه، ص 90.
[49] - انظر كتاب « الرّد على النحاة »، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، ص156 وما بعدها.
[50] - المدارس النحوية، ص 305.
[51] - انظر مع النحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللّغة وأسرارها، ص 92، 93.
[52] - انظر شرح كتاب سيبويه المُسمّى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، ابن خروف (أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي)، دراسة وتحقيق: خليفة محمد خليفة بديري منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث طرابلس ليبيا، ط1 (1425هـ-1995م)، ص 151.
[53] - المصدر نفسه، ص 58، 59.
[54] - المصدر نفسه، ص 151. وانظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، خديجة الحديثي، بغداد، (1400هـ-1980م)، ص212-217.
[55] - المدارس النّحوية، ص 310.
[56] - مناهج شروح ألفية ابن مالك، محمود عبد الكريم نجيب، دار الفارابي للمعارف، الإمارات العربية المتحدة الشارقة، ط1 (1426هـ-2004م)، ص 05، 07، وانظر المدارس النّحوية، ص 310.
[57] -موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، ص239-267.
[58] - تعليم النّحو العربي عرض وتحليل، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار القاهرة، ط1(1428هـ-2007م)، ص 44.

[59] - مع النّحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللّغة وأسرارها، ص 95.
[60] - المرجع نفسه، ص 95.
[61] - مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط (1407هـ-1987م)، 9/1، 10.
[62] - مغني اللّبيب، 9/1، 10.
[63] - ابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه النّحوي، عصام نور الدين، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان ط1 (1989م)، ص 48-51.
[64] - مقدمة ابن خلدون، ص 605.
[65] - انظر مقدمة ابن خلدون، ص 578، 588.
[66] - تعليم النّحو العربي، ص 47.
[67] - اللغة والنحو، حسن عون، الإسكندرية، ط1، (1952م)، ص42-52.

قائمة المصادر والمراجع

1. أخبار النحويين البصريين، السيرافي (أبو سعيد)، نشر وتهذيب: فريتس كرنكو المطبعة الكاثوليكية، خزانة الكتب العربية، بيروت.
2. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطى (جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، (1406هـ-1986م).
3. الإيضاح في علل النّحو، الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، ط5 (1406هـ-1986م).
4. تعليم النّحو العربي عرض وتحليل، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار القاهرة، ط1(1428هـ-2007م).
5. تيسير العربية بين القديم والحديث، عبد الكريم خليفة، عمّان، ط1 (1986م).
6. الخصائص، ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط(2006م.
7. الرّد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3.
8. الرسائل، الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)، تقديم: وتبويب على بومُلْحِم، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، ط الأخيرة.

9. أبو زكرياء الفرّاء ومذهبه في النّحو واللّغة، أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، توزيع دار المعارف، مصر، ط(1384هـ-1964م).
10. شرح المفصل، ابن يعيش (أبو البقا يعيش بن علي)، تصحيح وتعليق: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية.
11. شرح كتاب سيبويه المُسمّى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، ابن خروف (أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي)، دراسة وتحقيق: خليفة محمد خليفة بديري، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث طرابلس ليبيا، ط1 (1425هـ-1995م).
12. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط2.
13. ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1969م).
14. الفهرست، ابن النديم، تحقيق: مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط (1406هـ-1985م).
15. في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، نعمة رحيم العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط (1995م).
16. الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 (1408هـ-1988م).
17. المدارس النّحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5.
18. المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، دمشق، ط1 (1990م).
19. مع النّحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللّغة وأسرارها، صلاح الدين الزّعبلاوى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط (1992م).
20. معجم الأدباء (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب)، ياقوت الحموي (أبو عبد ﷲ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1411هـ-1991م).
21. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (عبد ﷲ بن يوسف)، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط (1407هـ-1987م).
22. المفصل في علم العربية، الزمخشري (أبو القاسم **محمود بن**

عمر)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2.
23. مقدمة، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، دار الجيل، بيروت.
24. من تاريخ النّحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت.
25. مناهج شروح ألفية ابن مالك، محمود عبد الكريم نجيب، دار الفارابي للمعارف، الإمارات العربية المتحدة الشارقة، ط1 (1426هـ- 2004م).
26. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، خديجة الحديثي، بغداد، (1400هـ- 1980م).
27. النّحو في إطاره الصّحيح، يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة.
28. نحو وعي لغوي، مازن المبارك، دار البشائر دمشق، ط (2003م).
29. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المدني، القاهرة، (1967).
30. نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1 (1993م).
31. ابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه النّحوي، عصام نور الدين، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان ط1 (1989م).